بكلّ شيء، والّذى جعل لكم أيّها النّاس الأرض مكاناً ممهّداً، وفراشاً موطّئا، وجعل لكم فيها سبلاً تسلكونها وطرقاً تسيرون فيها، وأنزل من السّماء ماءً فأخرج به عزّ وجل أنواعاً من نباتاتٍ مختلفة، وألواناً من زروعٍ متعدّده.

وإنّ مجيء نون العظمة فى القول : ﴿فأخرجنا به أزواجاً من نباتٍ شتّى﴾ كأنّه ينبّه إلى أنّ الآية الكريمة ابتداء كلام معترضٍ يقع فى أثناء هذه الآيات الكريمات الّتى تذكر طرفاً من قصّة موسى وهارون عليهما السّلام مع فرعون الطّاغية.

ويستمرّ الكلام المعترض. إنّ ربّ العزّة والجلال يأمر النّاس بأن يأكلوا ممّا رزقهم عزّ وجلّ من طيّبات الأطعمة وأن يرعوا أنعامهم. إنّ فى كلّ هذه النّعم لآياتٍ لأولى العقول الرّاجحة على القدرة المطلقة لله تعالى الواحد الأحد الفعّال لما يريد. إنّ الله سبحانه وتعالى قد خلقنا من هذه الأرض فى هيئة أبينا عليه السّلام، وفيها يعيدنا بعد أن نلقى الله تعالى، ومنها يخرجنا مرّةً أخرى يوم القيامة للحساب فالجزاء، الثّواب أو العقاب.

وَلَقَدْ
أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا
مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ
فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا
سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى
﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم
مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ
وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟
ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم
مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟
كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾
قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ
بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ
﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟
كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا
قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ
لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ

أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ
ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا
عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا
فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ
عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

مكاناً سوى : بمكان عَدْل بيننا وبينك ونَصَف[1] وقرىء بضمّ السّين وبكسرها[2] «وللعرب فى ذلك إذا كان بمعنى العَدْل والنَّصَف لغةٌ هي أشهر من الكسر والضّمّ وهو الفتح كما قال جلّ ثناؤه[3] : ﴿تعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم﴾ وإذا فُتحت السّين مُدّ وإذا كُسرت أو ضُمَّت قصر»[4].

يوم الزّينة : يوم عيدٍ كان لهم أو سوقٍ كانوا يتزيّنون فيه[5]

(!) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٣٤ وجاء فى القاموس : «نصف» : «والإنصاف العدل. والاسم النَّصَف والنّصَفَة محرّكتين».

(٢) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٣٤.

(٣) سورة آل عمران ٦٤.

(٤) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٣٤.

(٥) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٣٤.

ضحى : الضّحى انبساط الشّمس وامتداد النّهار، وسمّي الوقت به[1].

فتولّى فرعون : فأدبر فرعون معرضاً عمّا أتاه به من الحقّ[2].

فجمع كيده : فجمع مكره[3].

ويلكم : الويل كلمة تقال لكلّ من وقع فى عذابٍ أو هَلَكة. وأصل الويل فى اللّغة العذاب والهلاك[4].

لا تفتروا على الله كذباً : لا تختلقوا على الله كذباً ولا تتقوّلوه[5].

فيسحتكم بعذاب : فيستأصلكم بهلاكٍ فيبيدكم[6] والسُّحت : القِشر الّذى يستأصل[7].

فتنازعوا أمرهم بينهم وأسرّوا النّجوى : قال السّحرة بينهم : إن كان هذا ساحراً فإنّا سنغلبه، وإن كان من السّماء فله أمر[8].

إن هذان لساحران : كان بعض أهل العربيّة من أهل البصرة يقول : إن خفيفة فى معنى ثقيلة وهي لغةٌ لقوم يرفعون بها ويدخلون اللّام لِيَفْرُقُوا بينها وبين الّتى تكون فى معنى ما[9] النّافية.

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «ضحى» ٢٩١.

(٢) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٣٥.

(٣) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٣٥.

(٤) لسان العرب : «ويل».

(٥) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٣٥.

(٦) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٣٥.

(٧) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «سحت» ٢٢٥.

(٨) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٣٦.

(٩) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٣٦.

ويذهبا بطريقتكم المثلى : ويستبدّا بهذه الطريقة وهي السّحر فإنّهم كانوا معظَّمين بسببها لهم أموالٌ وأرزاقٌ عليها[1] والمُثلى تأنيث الأمثل[2] أي الأشبه بالأفضل والأقرب إلى الخير[3].

فأجمعوا كيدكم : فأحكموا كيدكم واعزموا عليه من قولهم : أجمع فلانٌ الخروج وأجمع على الخروج[4].

ثمّ ائتوا صفّا : الصّفّ أن تجعل الشّيء على خطٍّ مستوٍ كالنّاس والأشجار ونحو ذلك[5].

فأوجس : فأحسّ[6].

خيفة : الخيفة الحالة الّتى عليها الإنسان من الخوف[7].

تلقف : تبتلع[8].

ولا يفلح السّاحر حيث أتى : ولا يظفر السّاحر بسحره بما طلب أين كان[9].

فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف : وذلك أن يقطع

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ١٥٧.

(٢) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٣٧ ومفردات الرّاغب الأصفهانى : «مثل» ٤٦٣.

(٣) انظر مفردات الرّاغب الأصفهانى : «مثل» ٤٦٣.

(٤) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٣٨.

(٥) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «صف» ٢٨٢.

(٦) الجلالين.

(٧) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «خوف» ١٦٢.

(٨) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٤٠.

(٩) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٤٠.

يمنى اليدين ويسرى الرّجلين أو يسرى اليدين ويمنى الرّجلين فيكون ذلك قطعاً من خلاف[1].

فى جذوع النّخل : على جذوع النّخل[2].

ولتعلمنّ أيّنا أشدّ عذاباً وأبقى : يعنى نفسه وربّ موسى[3].

لن نؤثرك : لن نختارك[4] ونفضّلك[5].

والّذى فطرنا : خَلَقنا قَسَم أو عطف على ما[6] بمعنى لن نؤثرك على ما جاءنا من البيّنات والله، أو بمعنى لن نؤثرك على الّذى جاءنا من البيّنات وعلى الّذى فطرنا[7].

فاقض ما أنت قاض : فاصنع ما أنت صانع واعمل بنا ما بدا لك[8].

إنّما تقضى هذه الحياة الدّنيا : أي ليس لك سلطانٌ إلاّ فيها ثمّ لا سلطان لك بعده[9].

ليغفر لنا خطايانا : ليعفو لنا عن ذنوبنا فيسترها علينا[10].

---

(١) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٤١.

(٢) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٤١.

(٣) الجلالين.

(٤) الجلالين.

(٥) انظر مفردات الرّاغب الأصفهانى : «أثر» ٩.

(٦) الجلالين.

(٧) انظر تفسير الطّبرى ١٦/ ١٤٢.

(٨) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٤٢.

(٩) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٤٢.

(١٠) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٤٢.

والله خيرٌ وأبقى : والله خيرٌ منك يا فرعون جزاءً لمن أطاعه وأبقى عذاباً لمن عصاه وخالف أمره[1].

لهم الدّرجات العلى : لهم درجات الجنّة العُلَى[2] جمع عليا مؤنّث أعلى[3].

جنات عدن : جنّات إقامة لا ظعن عنها ولا نفاد لها ولا فناء[4].

وذلك جزاء من تزكّى : وذلك ثواب من تطهّر من الذنوب فأطاع الله فيما أمره ولم يدنّس نفسه بمعصيته فيما نهاه عنه[5].

ولقد أرى الله سبحانه وتعالى فرعون مصر كلّ الآيات البيّنات والمعجزات القاهرات الّتى أيّد بها موسى عليه السّلام فكذّب فرعون بها وأبى أن يذعن للحقّ ويدخل فى جملة المؤمنين. وقال فرعون لموسى عليه السّلام أجئتنا لتخرجنا من أرضنا أرض مصر بسحرك يا موسى. ولمّا كان القوم ماهرين فى السّحر فإنّ فرعون يتوعّد موسى بأنّه هو وملأه سوف يأتون موسى بسحرٍ من جنس سحره الّذى تجلّى فى عصاه ويده فى المقام الأول. وإنّ على موسى عليه السّلام أن يجعل موعداً للفريقين لا يخلفه كلٌّ من موسى وفرعون، وأن يعيّن مكاناً وسطاً وموضعاً مناسباً يلتقيان فيه. قال موسى عليه السلام لفرعون وملئه : موعدكم يوم عيدكم الّذى تتزيّنون فيه، أمّا المكان فإنّه المكان المعتاد الّذى يجتمع النّاس فيه ضحى يوم العيد. فانصرف فرعون بجسده بعد أن انصرف بقلبه عن الحقّ فجمع سحرته من كلّ حَدَبٍ وصوب ثمّ أتى إلى المكان المعيّن فى الموعد المحدّد. قال موسى عليه السّلام للسّحرة : عذابٌ شديدٌ لكم وهلاكٌ أكيدٌ إن افتريتم على الله تعالى كذباً.

---

(١) تفسير الطّبرى ١٦/١٤٢.

(٢) تفسير الطّبرى ١٦/١٤٣.

(٣) الجلالين.

(٤) تفسير الطّبرى ١٦/١٤٣.

(٥) تفسير الطّبرى ١٦/١٤٣.

لا تفتروا على الله تعالى كذباً فتظنّوا أنّ المعجزات الّتى أيّدني الله تعالى بها ضربٌ من السّحر الّذى تمارسونه ولا تقولوا على الله تعالى غير الحقّ فيأخذكم بعذاب ويستأصل شأفتكم بهلاك. وقد خاب من افترى على الله تعالى الكذب وقال عليه عزّ وجلّ غير الحقّ. وقد تنازع السّحرة أمرهم بينهم، واختلفت آراؤهم فى حقيقة موسى وهارون عليهما السّلام، وأسرّوا الكلام فيما بينهم، وقصروا المناجاة عليهم وحدهم، وقال بعضهم لبعضٍ أخيراً : إنّ هذين الرّجلين لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم أرض مصر بسحرهما القويّ، ويذهبا بطريقتكم الفضلى فى السّحر، ومذهبكم البارع فيه، ويمضيا بمجدكم التّليد، ويقضيا على عزّكم الأكيد. إنّ عليكم أن تُحْكِموا سحركم، وتجمعوا كلمتكم، وتوحّدوا صفّكم، وقد أفلح اليوم من استعلى على عدوّه وهزم خصمه. وحينما تأكّدت المبارزة قال السّحرة لموسى عليه السّلام إمّا أن تلقي عصاك أوّلاً، وإمّا أن نكون أوّل من ألقى عصيّه وحباله. قال موسى عليه السّلام بإلهام من الله تعالى : بل ألقوا أنتم أوّلاً، كي تتجلّى مهارتهم فى أرفع الصّور، ويبدو انتصاره بفضل الله تعالى فى أبهى الحلل. وابتدأ السّحرة بالإلقاء فعلاً، فإذا الحبال والعصيّ الّتى ألقوها يخيّل إلى موسى عليه السّلام أنّها حيّاتٌ تسعى ويركب بعضها بعضاً وتملأ الوادى. ويلاحظ أنّ موسى عليه السّلام رأى من ذى قبل أكثر من مرّة عصاه تتحول ثعباناً مبيناً وحيّةً تَسْعَى، ولكنّه يرى للمرّة الأولى فى هذه المناسبة حبال السّحرة وعصيّهم تتحوّل حيّات تسعى وثعابين تجرى. لقد أحسّ موسى عليه السّلام بالخوف فى نفسه خشية أن يظنّ النّاس أنّ عمل السّحرة الآن هو من جنس معجزته عليه السّلام بسبب التّشابه فى الشّكل الخارجيّ بين المعجزة والسّحر. وربّما عمّق عنصر المفاجأة وصعوبة الموقف إحساس موسى عليه السّلام بالخوف من اختلاط السّحر بالمعجزة. وتتدارك رحمة البرّ الرّحيم العبد المصطفى موسى عليه السّلام. وهاهوذا عليه السّلام يُنْهَى عن الخوف ممّا يرى، ويثبَّت قلبُه بأنّه عليه السّلام هو الأعلى بأمر الله تعالى وهو المنتصر على السّحرة بفضل الله تعالى. ويؤمر عليه الصّلاة والسّلام

بـــأن يُلْقي ما في يمينه. وإنّ مـا فى يمين موسى عليه السّلام عـصاه الّتى سبق أن ألقاها أكثر من مرّة، وكأنّه عليه السّـلام قد ذُهِل عنها لهول الموقف. ويُنَبَّه موسى عليه السّلام إلى العـمل الّذى سوف تقوم به العصا بإذن الله. إنّهـا ســـوف تبتلع ما أتقنوا عـمله من سحـر لأنّ ما صنعوه ليس سـوى مكر ساحـر. وبنصّ القرآن الكريم : ﴿ولا يفلح السّـاحر حـيث أتى﴾ ولا ينجح السّاحـر فى أيّ مكان، ولا يكون التّوفيق حليفه فى أيّ عمل.

ويبادر موسى عليه السّلام إلى إلقاء عصاه التى تحولت بإذن الله تعالى ثعباناً ابتلع كلّ تلك الحيـات المتخيَّلة. وإزاء تلك القوّة القـاهرة السّماويّة وجـد السّحرة المهرة أنفـسهم مـدفوعين بقوّة الحقّ وغلـبة الصّدق ومـرغمين على السّـجود على وجوههم لله رب الـعالمين معلنين بألـسنتهم مافى أعـماق قلوبهم الّتى تمكّـن منها الإيمان وأشرقت بنور الحقّ : ﴿آمنّـا بربّ هارون وموسى﴾.

وليس وراء خزي فرعون الطّاغية خزي، إذ لم يكتف السّحرة بإعلان الهزيمة بل انتهوا إلى الإعلان على الملأ إيمانهم لربّ العـالمين، ربّ موسى وهارون عليهما السّلام، وربّ فرعون وملئه وكلّ حيٍّ وشيء. ولمّـا كان فرعون الطّاغية مصرّا على جحد الحقّ الّذى جاء به مـوسى عليه السّلام والّذى استيقنته نفس فـرعون الطّاغية فإنه عليـه لعنة الله تعالى يسلّط سـخطه ابتداءً على مـؤمنى السّحـرة الّذين خذلوه حسب زعـمه فـأنكر عليهم أن يؤمنوا لموسى عليـه السّلام قبل أن يـعطيهم الإذن بذلك. واتّهم الطّاغيـة السّحرة بأنّ موسى عليـه السّلام ليس سوى كبـيرهم الّذى علّمهم السّحر وليس الّذى قاموا به سوى أمرٍ بيّته بليلٍ كلٌّ من موسى عليه السّلام والسّحرة، فـاستحقّ السّحرة عذاب فـرعون الأليم إن هم أصرّوا على الإيمان ولم يروا ما يراه فرعون الّذى يهـدى قومه ـ حسب زعمه ـ سـبيل الرّشاد. أمّـا عذاب فرعون الأليم وعقابه الشّديد فإنّه بتقطيع أيدى السّحرة وأرجلهم من خلاف. ويقال إنّ الطّاغيـة هو أوّل من ابتدع هذه السّـنّة السّيّئة من العذاب بقطع اليـد اليمنى والرّجل اليسرى أو العكـس. وحـيـنمـــا لا يُحْـــسم الجـــرح بالكيّ يظلّ يـنزف حـــتّى الوفـــاة.

إنّ هذا ما هـدّد به فرعون الطّاغـية السّـحرة الّذين آمنوا بربّهم جـلّ وعلا وزادهم هدى، وإنّ هذا ما فعله بهم، إضـافةً إلى تنفيذ ما هدّدهم به بعـد موتهم بصلبهم على جذوع النّخل كى يكونوا عبـرةً لمن اعتبر. ويجىء على لسان الطّاغـية القول الّذى ليس وراءه وراءٌ فى الدّلالة على طغيـانه. قال تعالى : ﴿ولتـعلمنّ أيّنا أشدّ عذاباً وأبقى﴾ والمـعنى : ولتعلمنّ أيّهـا السّحرة الّذين آمنتـم بربّ موسى وهارون أيّـنا أشـدّ عذاباً وأدوم عـقـاباً، فرعـون الطّاغيـة أم ربّ مـوسى وهـــارون ربّ العالمين!.

وأصرّ السّـحرة على الإيمان بعـد أن ذاقوا حـلاوته وثبّتهم الله تعـالى على المحجّة البـيضاء والطّريق المستقيم. إنّهم جـميعاً يقولون على لسانٍ واحـدٍ لطاغية زمـانه وكلّ زمـان : إنّا لن نخـتـارك ولن نفـضّلك على الّذى جـاءنا منٍ الآيات البيّنات، والله الّذى لا إلـه إلاّ هو الّذى خلقنا على غير مـثالٍ سـابقٍ وأوجدنا من العدم. فافعل يا فرعون ما أنت فاعلٌ بنا. إنّك إنّما تقضى هذه الحياة الدّنيا وسوف تمضى إلى مصيـرك المحتوم وليس لك بعد هذه الحيـاة الأولى أدنى سلطة بعد كلّ هذه السّلطة الّتى هي لك ـ بإذن الله تـعالى ـ فى هذه الحـياة الدّنيـا، والّتى تسىء استعـمالها وتسخّـرها لأهواء نفسك الأمّارة بالسّـوء. ومن هذه الأهواء التّفنّن فى تعذيبنا. ويواصل مـؤمنو السّحـرة القول : إنّـا آمنّا بربّنا الّذى ربّانا بنعـمه ونشّـأنا بآلائه ليغفر لنا جلّ وعلا ذنوبنا وما أكرهتنا عليه يافرعون من استعمال السّحر ضدّ موسى وهارون عليهـما السّلام. إنّ الله سبحانه وتعـالى خيرٌ ثواباً لمن آمن واتقى، وأبقى عذاباً لمن كفر وطغى.

وقَرَن فرعونُ الطّاغيةُ الفعلَ بالقول. قال عبد الله بن عبّاس : كانوا فى أوّل النّهار سحرة، وفى آخر النّهار شهداء[1].

ولمّا كان السّحرة حديثى عـهدٍ بإيمان، ولم يقدَّر لهم الالتقاء بموسى وهارون عليهـما السّلام فـى غير هذه المناسـبة، فإنّه يُظَنّ، والله تـعالى أعلم، أنّ الآيات

---

(١) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٤٢.

الكريمات الثّلاث التّاليات ليست من كلام مؤمنى السّحرة، وإنّما هي آياتٌ تعقيبيّةٌ تكمل بها المعانى السّامية الّتى جاءت على لسان مؤمنى السّحرة بإلهامٍ من الله تعالى.

إنّ السّياق يقرّر أنّه من يأت ربّه جلّ وعلا يوم القيامة كافراً فإنّ له جهنّم لا يموت فيها فيستريح، ولا يحيا حياةً هنيّة. وفى المقابل يقرّر أنّه من يأت ربّه جلّ وعلا مسلماً لله تعالى ربّ العالمين قد عمل بجوارحه الأعمال الصّالحة فأولئك المؤمنون لهم الدّرجات الرّفيعة فى جنّات النّعيم. إنّها جنّات إقامةٍ دائمةٍ تجرى من تحت أشجارها وقصورها أنواع الأنهار، خالدين فيها أبداً. وذلك النّعيم المقيم جزاء من تطهّر من الشّرك وسوء الخلق.

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا
فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ
بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ
وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ
جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟
مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ
وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ
وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾

فاضرب لهم طريقاً فى البحر يَبَسا : فاتّخذ لهم فى البحر طريقاً يابساً[1].

لا تخاف دركـاً ولا تخشى : لا تخاف من فرعـون وجنوده أن يدركوك من ورائك، ولا تخشى غرقاً من بين يديك ووَحَلا[2].

فأتبعهم : فلحقهم[3].

فغشيهم : فغطّاهم وسترهم[4].

من اليمّ : البحر[5].

---

(١) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٤٣.

(٢) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٤٣.

(٣) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «تبع» ٧٢.

(٤) انظر مفردات الرّاغب الأصفهانى : «غشى» ٣٦١.

(٥) تفسير ابن كثير ٣/ ١٦١ والجـلالين.

ما غشيهم : أي الّذى هو معروفٌ ومشهور. وهذا يقال عند الأمر المعروف المشهور[1].

وواعدناكم جانب الطّور الأيمن : الطّور اسم جبلٍ مخصوص فى شبه جزيرة سيناء[2] ويعنى بالأيمن يمين موسى لأنّ الجبل لا يمين له ولا شمال. وإنّما ذلك كما يقال : قام عن يمين القبلة وعن شمالها[3].

ونزّلنا عليكم المنّ والسّلوى : المنّ قيل صمغةٌ حلوة. وقيل عسل. وقيل شرابٌ حلو. روي أنّه كان ينزل عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشّمس كالثّلج[4] والسّلوى : طيرٌ بإجماع المفسّرين، قيل هو السُمانَى[5].

ولا تطغوا فيه : ولا تطغوا فى رزقى فتأخذوه من غير حاجةٍ وتخالفوا ما أمرتكم به[6] ولا تعتدوا فيه ولا يظلم فيه بعضكم بعضا[7].

فيحِلّ عليكم غضبى : فيجب عليكم غضبى وينزل[8].

فقد هوى : فقد تردّى فشقي[9].

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ١٦٠.

(٢) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «طور» ٣٠٩ و«سين» ٢٥١.

(٣) تفسير الطّبرى ١٦/ ٧١.

(٤) انظر تفسير القرطبى ٣٤٦و٣٤٧ وتفسير الطبرى ١/ ٢٣٣و٢٣٤.

(٥) تفسير القرطبى ٣٤٧ وتفسير الطّبرى ١/ ٢٣٤.

(٦) تفسير ابن كثير ٣/ ١٦١.

(٧) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٤٤..

(٨) انظر تفسير الطّبرى ١٦/ ١٤٤.

(٩) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٤٤.

ثمّ اهتدى : ثمّ لزم ذلك فاستقام ولم يضيّع شيئاً منه(١).

يقرّر السّياق أنّ ربّ العزّة والجلال قد أوحى إلى عبده المصطفى موسى عليه السّلام أن يسير ليلاً بعباد الله تعالى من بنى إسرائيل قومه عليه السّلام باتّجاه الشّرق صوب البحر الأحمر، كما أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السّلام حينما ظنّ بنو إسرائيل أنّ فرعون وملأه قد أدركوهم بأن يضرب لهم بعصاه طريقاً فى البحر يابساً وطمأنه جلّ وعلا بأنّه لا يخاف أن يدركه فرعون وملؤه ولا يخشى فى البحر غرقا. أمّا فرعون وملؤه الّذين صمّموا على اللّحاق بموسى وقومه وعلى إدراكهم فقد أطبق عليهم البحر وغشيهم من اليمّ ما غشيهم وغطّاهم من ماء البحر ما غطّاهم وكتم أنفاسهم وأهلكهم. وهكذا أضلّ فرعون الطّاغية قومه القِبْط وما هداهم سبيل الرّشاد حسب زعمه بل هداهم سبيل البوار فى الأولى والآخرة.

وفى معرض الحثّ لبنى إسرائيل على ذكر نعم الله تعالى والشّكر لله تعالى عليها ينادى السّياق بنى إسرائيل وهو يعقوب عليه السّلام ويذكّرهم ببعض تلك النّعم وواجبهم تجاهها. إنّ السّياق يذكّر بنى إسرائيل بنعمة إنجاء الله تعالى لهم من عدوّهم فرعون الطّاغية وملئه، وقد أشارت السّورة الكريمة إلى بعض ملابسات هذا الإنجاء. كما يذكّرهم السّياق بمواعدة الله تعالى موسى عليه السّلام وبنى إسرائيل إلى جانب الطور الأيمن وهو الجبل الّذى كلّمه الله تعالى عليه وسأل فيه الرّؤية وأعطاه التّوراة هنالك(٢) وفى تلك الأثناء عبد بنو إسرائيل العجل على نحو ما تقصّ السّورة الكريمة علينا قريبا. وقد نزّل الله تعالى على بنى إسرائيل المنّ وهو شيءٌ يشبه الطّلّ فيه حلاوة يسقط على الشجر(٣) ويشبه العسل ينزل عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشّمس كالثّلج، ونزّل السّلوى وهو طائر السُّمانَى تحشره عليهم ريح الجنوب الّتى يبعثها الله تعالى فيذبح الرّجل من الطّير ما يكفيه(٤) وأُمِر

(١) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٤٥.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ١٦١.

(٣) مفردات الرّاغب الأصفهانى: «منن» ٤٧٤.

(٤) الكشّاف ١/ ٢١٧.

بنو إسرائيل أمر إباحة أن يأكلوا من طيّبات ما رزقهم الله تعالى، ونُهوا عن الطّغيان في ذلك الرّزق بأن يَبطَروا النّعمة ولا يقوموا بما يجب عليهم من شكر لله تعالى. إنّ من يجحد نعمة الله تعالى سوف ينزل عليه غضب الله تعالى. ومن ينزل عليه غضب الله تعالى فقد هوى في مهاوى الرّدى وخسر الأولى والآخرة. ويفتح السّياق باب المغفرة من الله تعالى لذنب من تاب توبةً نصوحاً وآمن إيماناً صادقاً بقلبه، وعمل عملاً صالحاً بجوارحه، ثمّ اهتدى بأن استقام على هدى الله تعالى ففعل ما أمره الله تعالى به وانتهى عمّا نهاه الله تعالى عنه.

وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن
قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ
رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ
ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ
يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ
ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم
مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ
أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾
فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ
وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا
يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ
يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ
أَمۡرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ
﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ
أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ
إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ
قَوۡلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرۡتُ
بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ
فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ

فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ
مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ
عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ
إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

وما أعجلك عن قومك يا موسى : وأيّ شيءٍ أعجلك عن قومك يا موسى فتقدمتهم وخلّفتهم وراءك ولم تكن معهم(١).

قال فإنّا قد فتنّا قومك من بعدك : قال الله لموسى فإنّا يا موسى قد ابتلينا قومك من بعدك بعبادة العجل(٢).

وأضلّهم السّامريّ : وكان إضلال السّامريّ إيّاهم دعاءه إيّاهم إلى عبادة العِجْل(٣).

فرجع موسى إلى قومه غضبان أسِفا : فانصرف موسى إلى قومه من بنى إسرائيل بَعْدَ انقضاء الأربعين ليلةً غضبان أسفا. متغيّظاً على قومه حزيناً لما أحدثوا بعده من الكفر بالله(٤).

ألم يعدكم ربّكم وعداً حسناً : أي صدقاً أنّه يعطيكم التّوراة(٥).

أم أردتم أن يحلّ عليكم غضبٌ من ربّكم : أم هنا بمعنى بل، وهي للإضراب عن الكلام الأوّل وعدولٌ إلى الثّانى. كأنّه يقول : بل أردتم بصنيعكم هذا أن يحلّ عليكم غضبٌ من ربّكم(٦).

فأخلفتم موعدى : كان إخلافهم موعده عكوفهم على العجل وتركهم السّير على أثر موسى للموعد الّذى كان الله وعدهم وقولهم لهارون إذ نهاهم عن عبادة العجل ودعاهم إلى السّير معه فى أثر موسى : ﴿لن نبرح عليه عاكفين حتّى

(١) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٤٥.
(٢) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٤٦.
(٣) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٤٦.
(٤) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٤٦.
(٥) الجلالين.
(٦) تفسير ابن كثير ٣/ ١٦٢.

يرجع إلينا موسى﴾(١).

بِمَلْكنا : عن قدرتنا واختيارنا(٢).

ولكنّا حُـمّلْنا أوزاراً : ولكنّا حُمّلنا أثقالاً وأحمالاً(٣).

من زينة القوم : من حليّ آل فـرعون(٤) وذلك أنّ بنى إسرائيل اسـتعاروها منهم ليلة عرسٍ فبقيت عندهم(٥).

فقذفناها : فألقينا تلك الأوزار(٦) وطرحناها فى النّار بأمر السّامريّ(٧).

فكذلك : كما ألقينا(٨).

ألقى السّامـريّ : ما معه من حليّـهم ومن التّراب الّذى أخذه من أثر حـافر فرس جبريل على الوجه الآتى(٩).

فأخرج لهم عجلاً : العجل ولد البقرة(١٠).

---

(١) تفسير الطّبرى ١٦/١٤٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/١٦٢.

(٣) تفسير الطّبرى ١٦/١٤٧.

(٤) تفسير الطّبرى ١٦/١٤٧.

(٥) الجـــلالين.

(٦) تفسير الطّبرى ١٦/١٤٨.

(٧) الجـــلالين.

(٨) الجـــلالين.

(٩) الجـــلالين.

(١٠) تفسير الطّبرى ١٦/١٥٢

جسداً : لحماً ودما(١).

له خوار : الخوار صوت البقرة(٢) وسبق أن قلنا بشأن الآية الكريمة الثّامنة والأربعين بعد المائة من سورة الأعراف فى الجزء التّاسع من هذا التّفسير (٣): «ويصحّ أن يكون خوار العجل من الذّهب بسبب الرّياح الّتى تدخل من دبره وتخرج من فيه، وبذلك يكون العجل جسداً لا حياة فيه. ويصحّ أن يكون العجل الجسد تحوّل بإذن الله تعالى عجلاً حقيقيّاً بفعل التّراب الّذى أخذه السّامري من حافر فرس جبريل ووضعه فى فم العجل فإنّ أَثَرَهُ الحياةُ فيما يوضع فيه. والله أعلم».

فقالوا : أي الضّلاّل منهم الّذين افتتنوا بالعجل وعبدوه(٤).

هذا إلهكم وإله موسى فنسى : أي نسي موسى ربّه عندكم(٥) ههنا وذهب يتطلّبه(٦).

أفلا يرون ألاّ يرجع إليهم قولاً : لا : نافية. أن : مخفّفة من الثّقيلة، واسمها ضمير الشّأن محذوف(٧) والمعنى : أفلا يرون أنّ العجل الّذى زعموا أنّه إلههم وإله موسى لا يكلّمهم. وإن كلّموه لم يردّ عليهم جوابا(٨).

---

(١) الجلالين وتفسير القرطبى ٤٢٧٥.

(٢) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٤٨.

(٣) التفسير البسيط للقرآن الكريم ٩/ ١١٧.

(٤) تفسير ابن كثير ٣/ ١٦٢.

(٥) انظر تفسير الطّبرى ١٦/ ١٤٨.

(٦) تفسير ابن كثير ٣/ ١٦٢.

(٧) الجدول فى إعراب القرآن وصرفه ٨/ ٣٣٥.

(٨) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥٠

إنّما فتنتم به : إنّما اختبر الله إيمانكم ومحافظتكم على دينكم بهذا العجل الّذى أحدث فيه الخوار ليعلم به الصّحيح الإيمان منكم من المريض القلب الشّاكّ فى دينه(١).

لن نبرح عليه عاكفين : قال عبدة العجل من قوم موسى : لن نزال على العجل مقيمين نعبده حتّى يرجع إلينا موسى(٢).

ما منعك إذ رأيتهم ضلّوا ألاّ تتبعن : لا حرف نفي. والمعنى : ما منعك من عدم اتّباعى فى الغضب لله(٣) وأيّ شيءٍ منعك إذ رأيتهم ضلّوا عن دينهم فكفروا بالله وعبدوا العجل ألاّ تتّبعني(٤).

قال يا ابنؤمّ : ابن منادى مضاف منصوب. أمَّ مضافٌ إليه مجرور وعلامة الجرّ الكسرة المقدّرة على الميم لاشتغال المحلّ بحركة المناسبة للألف المحذوفة. والألف المحذوفة المنقلبة عن الياء مضاف اليه(٥) ترقّق له بذكر الأمّ مع أنّه شقيقه لأبويه لأنّ ذكر الأمّ ههنا أرقّ وأبلغ فى الحنوّ والعطف(٦).

لا تأخذ بلحيتى : وكان أخذها بشماله(٧).

---

(١) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥٠

(٢) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥٠

(٣) الجدول فى إعراب القرآن وصرفه ٨/ ٣٣٧ هامش رقم ٢.

(٤) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥٠

(٥) الجدول فى إعراب القرآن وصرفه ٨/ ٣٣٨.

(٦) تفسير ابن كثير ٣/ ١٦٣.

(٧) الجلالين.

ولا برأسى : وكان أخذ شعره بيمينه غضبا(١).

إنّى خشيت أن تقول فرّقت بين بنى إسرائيل: إنّى خشيت أن تقول فرّقت بين جماعتهم فتركت بعضهم وراءك وجئت ببعضهم(٢).

ولم ترقب قولى : قال ابن عبّاس : لم تحفظ قولى(٣).

فما خطبك يا سامريّ : فما شأنك يا سامريّ وما الّذى دعاك إلى ما فعلته(٤).

قال بَصُرْت بما لم يَبْصُروا به : قال السّامريّ: علمت ما لم يعلموه. وهو فعلت من البصيرة. أي صرت بما عملت بصيراً عالماً(٥) والبَصَر يقال للجارحة النّاظرة وللقوّة الّتى فيها. ويقال لقوّة القلب المدركة بصيرةٌ وبَصَر. وجمع البصر أبصار، وجمع البصيرة بصائر. ويقال من الأوّل : أبصرتُ. ومن الثّانى : أبصرته وبَصُرْتُ به. وقلّما يقال بَصُرْت فى الحاسّة إذا لم تضامَّهُ رؤية القلب(٦).

فقبضت قبضةً من أثر الرّسول : يقول : قبضت قبضةً من أثر حافر فرس جبريل(٧) والقبضة عند العرب الأخذ بالكفّ كلّها(٨).

---

(١) الجلالين.

(٢) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥١

(٣) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥١

(٤) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥١

(٥) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥١

(٦) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «بصر» ٤٩.

(٧) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥١

(٨) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥٢

وكان ذلك حين جاء جبريل عليه السّلام لهلاك فرعون(١).

فنبذتها : فألقيتها(٢) قال مجاهد : نبذ السّامريّ أي ألقى ما كان فى يده على حلية بنى إسرائيل فانسبك عجلاً جسداً له خوار، حفيف الرّيح فيه(٣) فهو خواره(٤).

وكذلك سوّلت نفسى : يقول : وكما فعلت من إلقائى القبضة الّتى قبضت من أثر الفرس على الحلية الّتى أوقد عليها حتّى انسكبت فصارت عجلاً جسداً له خوار سوّلت لى نفسى. يقول : زيّنت لى نفسى أنّه يكون ذلك كذلك(٥).

قال فاذهب فإنّ لك فى الحياة أن تقول لا مِساس : قال موسى للسّامريّ فاذهب فإنّ لك فى أيّام حياتك أن تقول لا مساس. أي لا أَمَسّ ولا أُمَسّ(٦) أي لا تمسّنى ولا أمسّك(٧) والمسّ يقال فيما يكون معه إدراكٌ بحاسّة اللّمس(٨) وذكر أنّ موسى أمر بنى إسرائيل ألاّ يواكلوه ولا يخالطوه ولا يبايعوه، فلذلك قال له إنّ لك فى الحياة أن تقول لا مساس(٩) أي لا تقربنى فكان يهيم فى

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ١٦٣.

(٢) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥٢

(٣) الحفيف : صوت الشّىء تسمعه كالرَّنَّة أو طيران الطّائر أو الرَّمْية أو التهاب النّار ونحو ذلك. لسان العرب «حفف».

(٤) تفسير ابن كثير ٣/ ١٦٣.

(٥) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥٢

(٦) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥٢

(٧) نظم الدّرر للبقاعى ٢/ ٣٣٦.

(٨) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «مسس» ٤٦٧.

(٩) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥٢

البرّيّة(١) وإذا مَسَّ أحداً أو مسَّه أحدٌ حُمَّا جميعا(٢).

وإنّ لك موعداً : أي يوم القيامة(٣) لعذابك وعقوبتك(٤).

لن تُخْلَفه : لن يُخْلِفهُ الله ولكن يذيقكه(٥).

الّذى ظلت عليه عاكفاً : الّذى ظلت عليه مقيماً تعبده(٦) وللعرب فى ظلت لغتان، الفتح فى الظّاء وبها قرأ قرّاء الأمصار، والكسر فيها. وكأنّ الّذين كسروا نقلوا حركة اللّام الّتى هي عين الفعل من ظللت إليها. ومن فتحها أقرّ حركتها الّتى كانت لها قبل أن يحذف منها شيء(٧).

لنحرّقنّه : لنحرّقنّه بالنّار قطعةً قطعة(٨).

ثمّ لننسفنّه فى اليمّ نسفا : ثمّ لنذرّينّه فى البحرَ تذرية(٩) أي نطرحه فيه طرح النُّسافة وهي ما تثور من غبار الأرض(١٠) والنَّسْف : تنقية الجيّد من الرّديء، ويقال لمُنْخُلٍ مطوَّل المِنْسَف. ونَسَفَ الطّعام يَنْسِفه نَسْفاً إذا نَفَضَه. ونَسَف الشّيء وهو نسيف : غربله. والنُّسافة : ما سقط من الشّيء يَنْسِفه، وخصَّ اللّحيانيّ به

---

(١) البرّية : الصّحراء، والجمع برارى.

(٢) الجلالين.

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ١٦٤.

(٤) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥٢

(٥) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥٢

(٦) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥٣

(٧) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥٣

(٨) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥٣

(٩) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥٣

(١٠) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «نسف» ٤٩٠.

نُسافة السّويق. ويقال : اعزل النُّسافة وكل من الخالص(١) ويقال : نَسَفَ فلانٌ الطّعام بالمِنْسف إذا ذرّاه فطيّر عنه قشوره وترابه باليد أو الرّيح(٢) عن ابن عبّاس قال : ذرّاه فى اليمّ. واليمّ البحر(٣).

وسع كلّ شيءٍ علماً : أحاط بكلّ شيءٍ علماً(٤).

واعد الله سبحانه وتعالى موسى عليه السّلام وبنى إسرائيل جانب الطّور الأيمن يعطيه عزّ وجلّ التّوراة بعد الميعاد للعمل بها. ولمّا كان موسى عليه السّلام قد سَبَق قومه إلى الميعاد لأخذ التّوراة وتَرَكَ قومه مع شقيقه هارون عليه السّلام الّذى أوصاه بهم خيراً ولكنّ السّامريّ أضلّهم فإنّ السّورة الكريمة تتحدّث فى ملابسات هذه المسألة الغاية فى الخطورة. إنّ السّياق يقرّر أنّ ربّ العزّة والجلال الّذى أحاط بكلّ شيءٍ علماً يسأل عبده المصطفى موسى عليه السّلام عن السّبب الّذى من أجله تقدّم قومه ولم يكن معهم. ويجيب موسى عليه السّلام بأنّ قومه بنى إسرائيل قريبون منه يَقْفُون أثره ويتبعونه وبأنّه عليه السّلام عَجِل إلى ربّه عزّ وجلّ طلباً لرضا الله تعالى عنه(٥) ولمّا كان السّامريّ قد تمكّن لأمرٍ يريده الله تعالى من إضلال بنى إسرائيل عن سواء السّبيل وإغرائهم بعبادة العجل الّذى صاغه السّامريّ لهم فإنّ السّياق يومىء إلى هذه الحقيقة. إنّ ربّ العزّة والجلال يبيّن لموسى عليه السّلام أنّه عزّ وجلّ قد فتن قوم موسى عليه السّلام وابتلى بنى إسرائيل بعبادة العجل من بعد أن ذهب موسى عليه السّلام إلى ميعاد ربّه عزّ وجلّ أربعين ليلة صامها وأعطاه الله تعالى إثرها التّوراة. لقد تمّت الفتنة بواسطة السّامريّ الّذى أضلّ فريقاً من بنى إسرائيل على الرّغم من كون هارون عليه السّلام بَيْنَ ظهرانَيْهِمْ وموسى عليه السّلام غَيْرَ بعيدٍ منهم حيّاً يُرْزق. عاد موسى إلى قومه بنى إسرائيل

---

(١) لسان العرب : «نسف».

(٢) تفسير الطّبرى ١٦/١٥٣

(٣) تفسير الطّبرى ١٦/١٥٣

(٤) تفسير الطّبرى ١٦/١٥٤

(٥) انظر مفردات الرّاغب الأصفهانى : «عجل» ٣٢٣.

شديد الغضب عليهم لعبادتهم العجل شديد الحزن لإشراكهم مع الله تعالى سواه.

قال موسى عليه السّلام لقومه منكراً عليهم شنيع عملهم : يا قومى ألم يَعدْكم ربّكم عزّ وجلّ وعداً حسناً بأن يؤتيكم التّوراة بعد أن تتمّ المواعدة . أفطالت عليكم مدّة مفارقتى إيّاكم، وما بالعهد من قِدَم(١) بل أردتم أن يحلّ عليكم غضبٌ من ربّكم عزّ وجلّ بعبادتكم العجل فأخلفتم موعدى بأن تلحقوا بى وأن تفردوا الله تعالى بالعبادة وتنأوا عن الفساد بكلّ صوره. قالوا ما أخلفنا موعدك باختيارنا وإرادتنا ولكنّا حُمّلنا أثقالاً من زينة قوم فرعون وحُلِيّ القبط كنّا قد استعرناها منهم وبقيت معنا وحملناها حينما أوحى الله تعالى إليك بأن تسير بنا ليلاً فِراراً من فرعون وملئه. لقد قذفنا تلك الحليّ فى النّار المتأجّجة الّتى أشعلها السّامريّ وطرحناها امتثالاً لأمره فى الحفرة الّتى عملها لهذا الغرض (٢) وكذلك ألقى السّامريّ ما معه من الحليّ ومن التّراب الّذى أخذه من أثر حافر فرس جبريل عليه السّلام. والأثر : التّراب الّذى تحت حافره(٣) وقال الأكثرون : رأى السّامريّ جبريل يوم فلق البحر(٤).

فأخرج السّامريّ لبنى إسرائيل عجلاً، وهو ولد البقرة، جسداً من لحم ودم(٥) فى رأى الّذين يرون أنّ ذلك الأثر لحافر جبريل عليه السّلام إنّما كان صفةً له من باب الفتنة لبنى إسرائيل الّذين أضلّهم السّامريّ، وبناءً على ذلك يكون الخوار، وهو صوت العجل، على الحقيقة. وقد يكون العجل جسداً شكلاً لا حقيقة فى الرّأي الآخر للعلماء وبناءً على ذلك يكون خوار العجل وصوته بالرّيح، لأنّه كان عمل فيه خروقاً فإذا دخلت الرّيح فى جوفه خار ولم تكن فيه حياة(٦).

(١) تفسير ابن كثير. ٣/ ١٦٢

(٢) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٤٩ والبحر المحيط ٦/ ٢٦٩.

(٣) البحر المحيط ٦/ ٢٧٤.

(٤) البحر المحيط ٦/ ٢٧٤.

(٥) تفسير القرطبى ٤٢٧٥.

(٦) انظر ـ مثلا ـ تفسير القرطبى ٤٢٧٥.

وفى كلتا الحالتين تمكّن السّامريّ من إضلال فريقٍ من بنى إسرائيل يردّدون كالببّغاوات قول السّامريّ فى مخاطبة بعضهم بعضا : ﴿هذا إلهكم وإله موسى فنسى﴾ والمعنى أنّ هذا العجل هو إلهكم وإله نبيّكم موسى الّذى نسي إلهه هنا وذهب يبحث عنه!

وفى أسلوب الاستفهام ينكر السّياق على بنى إسرائيل الّذين عطّلوا عقولهم وأعمى الله تعالى بصائرهم فعبدوا العجل الّذى يضرب به المثل وبالبقر عموماً فى الغباء والبلادة. إنّ السّياق ينكر على عابدى العجل عبادتهم له رغم أنّهم يرونه لا يرجع إليهم قولاً ولا يكلّمهم، ولا يهديهم سبيلاً، ولا يملك لهم ضراً إن هم لم يعبدوه، ولا نفعاً إن هم عبدوه. وقد قال عزّ من قائل(١) : ﴿فإنّها لا تَعْمى الأبصارُ ولكن تَعْمَى القلوب الّتى فى الصّدور﴾.

ويعرّج السّياق على هارون عليه السّلام الّذى استخلفه موسى عليه السّلام على بنى إسرائيل قبل أن يذهب عليه السّلام إلى المواعدة. جاء فى هذا المعنى قول الحقّ جلّ وعلا فى سورة الأعراف(٢) : ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلةً وأتممناها بعشرٍ فتمّ ميقات ربّه أربعين ليلة. وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومى وأَصْلِحْ ولا تتّبع سبيل المفسدين﴾.

إنّ هارون عليه السّلام قال للقوم الضّالين مِنْ قبل أن يرجع موسى عليه السّلام : يا قوم إنّما فتنتم بعبادة العجل وابتليتم بالإشراك مع الله تعالى سواه وإنّ ربّكم المستحقّ للعبادة وحده دون سواه هو رحمن الدّنيا والآخرة الّذى وَسِعَتْ رحمته كلّ حيّ وشيء. إنّ عليكم أن تتّبعونى وتسيروا فى طريق التّوحيد الّذى أسير فيه وأن تطيعوا أمرى بإفراد الله تعالى بالعبادة ولا تعصونى بعبادة العجل. قال القوم الضّالّون من بنى إسرائيل : لن نزال على عبادة العجل حتّى يرجع إلينا موسى عليه السّلام.

ولمّا رجع موسى عليه السّلام غضبان أسفاً وسمع جواب الّذين عبدو العجل

---

(١) سورة الحج ٤٦.

(٢) الآية ١٤٢.

من قومه سأل شقيقه هارون عليه السّلام فى أسلوب الإنكـــار : ما الّذى منعـك يا هارون حين رأيتهم ضلّوا عن سـواء السّبيل من اتّباعى. هلاّ اتّبـعتنى وبيّنت لي جلية الأمر. أفعصيت أمرى يا هارون فـبقيت بين ظهرانَيْ عابدى العجل! ويلاحظ أنّ موسى عليه السّلام كان لشدّة غضبـه على قومه وحزنه الشّديد لعبادتهم العجل قد ألقى ألواح التّـوراة فتكسّرت، فيـما يقال، وأخـذ برأس هارون بيمينه ولحيـته بشماله يجرّه إليـه غضباً. وتجاه غضب موسى عليه السّلام الـشّديد يجتهد هارون عليه السّلام فى إسكات غـضب موسى عليه السّلام بالضّـرب على الوتر الحسّاس للأمومة الّتى تجمعـهما. إنهّما شقيقـان ولكنّ هارون عليه السّلام يضرب على هذا الوتر بالذّات بقصد ترقيق قلب شقيقه عليه. وكما تحدّثت سورة طه فى هذا المعنى تحدّثت سورة الأعراف. جاء فى سورة الأعراف(١) قول الحقّ جلّ وعلا : ﴿واتّخذ قوم موسى من بعده من حليّهم عجلاً جسداً له خُوار. ألم يروا أنّه لا يكلّمهم ولا يهديهم سبيلاً. اتّخـذوه وكانوا ظالمين. ولّما سُقِط فى أيديهم ورأوا أنّهم قد ضلّوا قالوا لئن لم يرحـمنا ربّنا ويغفر لنا لنكوننّ من الخاسـرين. ولّما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال بئسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربّكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجرّه إليه. قال ابنَ أُمَّ إنّ القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا تُشْـمِتْ بي الأعـداء ولا تجعلـنى مع القوم الـظّالمين. قال ربّ اغـفـر لى ولأخى وأدخلنا فى رحـمتك وأنت أرحم الرّاحـمين. إنّ الّذين اتّخـذوا العجل سـينالهم غضـبٌ من ربّهم وذلّـةٌ فى الحيـاة الدّنيا وكـذلك نجزى المفـترين. والّذين عـملوا السّيّـئات ثمّ تابوا مِنْ بعدها وآمنوا إنّ ربّـك من بعدها لغفـورٌ رحيم. ولّما سكت عن موسى الغـضبُ أخذ الألواح وفى نسـختـها هدىً ورحمـةٌ للّـذين هم لربّهم يرهبون﴾ وجاء فى سورة طه عن هارون عليه السّلام قول الحقّ جلّ وعلا : ﴿قال يا ابنؤمَّ لا تأخذ بلحـيتى ولا برأسى إنّى خشيت أن تقول فـرّقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولى﴾.

---

(١) الآيات ١٤٨ـ١٥٤.

إنّ هارون عليه السّلام يعلن أنّه خَشِي لو أنّه تبع موسى عليه السّلام كي يطلعه على عبادة بعض بنى إسرائيل العجل فإنّ فريقاً منهم سيسير معه ويرفض الفريق الآخر العابد للعجل اتّباعه، وبذلك يكون هارون عليه السّلام سبباً فى تفريق بنى إسرائيل، كما يكون هارون عليه السّلام قد فارق بنى إسرائيل دون إذنٍ من موسى عليه السّلام وعلم.

ولمّا كان السّامريّ سبب ضلال القوم بمشيئة الله تعالى فإنّ موسى عليه السّلام يلتفت إليه ويسأله عن شأنه وعن السّبب الّذى دعاه إلى ما فعل. فأجاب السّامريّ بأنّى علمت ما لم يعلم القوم واستقرّ فى أعماقى أن أفعل ما فعلت فقبضت بكفّى قبضةً من التّراب الّذى تحت حافر فرس جبريل عليه السّلام يوم فلق البحر فألقيتها على حليّ آل فرعون الّتى أوقدت عليها النّار فى الحفرة الّتى عملتها لهذا الغرض وبعد أن صغت منها العجل دبّت الحياة ـ باذن الله تعالى ـ فيه فكان له خوارٌ وصوت. وكذلك زيّنت لى نفسى بأنّ إلقاء التّراب الّذى ذُكِر على ما لا حياة فيه يجعله حيّاً فكان العجل الّذى عبده القوم إلها. وبذلك تحقّق طلب القوم السّابق منك يا موسى بأن تجعل لهم إلهاً على نحو الآلهة التى وجدوا قوماً يعكفون على عبادتها بعد أن قطعوا البحر ونجّاهم الله تعالى من فرعون وملئه!

قال موسى عليه السّلام للسّامريّ فاذهب بعيداً عنّا فإنّ لك فى هذه الحياة، بإذن الله تعالى، أن تقول لكلّ من رأيته لا تقربنى ولا تمسّنى. وإنّ لك موعداً يوم القيامة لعذابك لن يُخْلَف ولن يتخلّف. وانظر إلى إلهك الّذى عكفت على عبادته لنحرّقنّه بالنّار قطعةً قطعة، ثمّ لننسفنّه فى البحر نسفاً، ولنجعلنّه فوق الماء اللّجّيّ فى هيئة الهباء الّذى يطيره الهواء وتذروه الرّياح فتذهب به فى كلّ اتّجاه.

ويخاطب السّياق النّاس أجمعين، ابتداءً بقوم موسى عليه السّلام، ويلتفت إليهم قائلاً : إنّ إلهكم لواحدٌ هو الله الّذى لا إله إلاّ هو والّذى أحاط بكلّ شىءٍ علماً، فلا يخفى عليه عزّ وجل شىءٌ فى الأرض ولا فى السّماء.

(٣)

«العـــذاب الشّـــديد يـــوم القيـــامة للمعرضين عـــن القرآن الكريم والثّواب الأكيد للمؤمنين »

الآيات (٩٩-١١٤)

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا
ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا
﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ
فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ
بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ
فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾
لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ
لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا
﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ
قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ
عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ
حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا
يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾
فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن
يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾

وقد آتيناك من لدنّا ذكرا : وقد آتيناك يا محمّد من عندنا ذكراً يتذكّر به ويتّعظ به أهل العقل والفهم وهو هذا القرآن(١).

وزرا : إثماً(٢) وحملاً ثقيلاً(٣).

ونحشر المجرمين يومئذٍ زرقاً : ونسوق أهل الكفر بالله يومئذٍ إلى موقف القيامة(٤) زرق العيون من شدّة ما هم فيه من الأهوال(٥) والعطش الّذى يكون بهم عند الحشر(٦).

يتخافتون بينهم : يتهامسون بينهم ويسرّ بعضهم إلى بعض(٧).

إن لبثتم إلاّ عشرا : ما لبثتم فى الدّنيا إلاّ عشراً(٨) من اللّيالى بأيّامها(٩).

إذ يقول أمثلهم طريقة : حين يقول أوفاهم عقلاً وأعلمهم فيهم(١٠).

ويسألونك عن الجبال : أي هل تبقى يوم القيامة أو تزول(١١).

فقل ينسفها ربّى نسفا : فقل لهم يذرّيها ربّى تذرية ويطيّرها بقلعها واستئصالها من أصولها ودكّ بعضها على بعض وتصييره إيّاها هباءً منبثّاً(١٢).

---

(١) تفسير الطبرى ١٦/ ١٥٤

(٢) تفسير الطبرى ١٦/ ١٥٤.

(٣) تفسير الطبرى ١٦/ ١٥٤.

(٤) تفسير الطبرى ١٦/ ١٥٥.

(٥) تفسير ابن كثير ٣/ ١٦٥.

(٦) تفسير الطبرى ١٦/ ١٥٥.

(٧) تفسير الطبرى ١٦/ ١٥٥.

(٨) تفسير الطبرى ١٦/ ١٥٥.

(٩) الجلالين.

(١٠) تفسير الطبرى ١٦/ ١٥٥.

(١١) تفسير ابن كثير ٣/ ١٦٥.

(١٢) تفسير الطبرى ١٦/ ١٥٥.

قاعاً : مستوياً من الأرض(١).

صفصفا : لا نبات فيه(٢).

لا ترى فيها عوجاً : لا ترى فيها انخفاضاً(٣).

ولا أمتاً : ولا ارتفاعاً(٤).

يومئذٍ يتّبعون الدّاعى : يتّبع النّاس صوت داعى الله الّذى يدعوهم إلى موقف القيامة فيحشرهم إليه(٥).

لا عوج له : لا عوج لهم عنه ولا انحراف(٦).

وخشعت الأصوات للرّحمن : وسكنت أصوات الخلائق للرّحمن(٧).

فلا تسمع إلاّ همسا : فلا تسمع إلاّ صوتاً خفيّاً(٨) هو وطء الأقدام إلى المحشر(٩).

يعلم ما بين أيديهم : من أمر القيامة وما الّذى يصيرون إليه من الثّواب والعقاب(١٠).

وما خلفهم : ويعلم أمر ما خلّفوه وراءهم من أمر الدّنيا(١١).

---

(١) انظر مفردات الرّاغب الأصفهانى : «قيع» ٤١٥ وتفسير ابن كثير ٣/ ١٦٥ وتفسير الطّبرى ١٦/ ١٥٥.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ١٦٥ وتفسير الطّبرى ١٦/ ١٥٥.

(٣) انظر الجلالين وتفسير ابن كثير ٣/ ١٦٥ وتفسير الطّبرى ١٦/ ١٥٦.

(٤) انظر الجلالين وتفسير ابن كثير ٣/ ١٦٥ وتفسير الطّبرى ١٦/ ١٥٦.

(٥) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥٦.

(٦) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥٦.

(٧) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥٦.

(٨) انظر تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥٦.

(٩) انظر تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥٦.

(١٠) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥٧.

(١١) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥٧.

وعنت الوجوه : وذلّت الوجوه(١) وخضعت(٢).

القيوّم : فيعول من صيغ المبالغة(٣) وهو المبالغ فى القيام بتدبير خلقه(٤).

وقد خاب : ولم يظفر بحاجته وطِلْبته(٥).

من حمل ظلما : من حمل إلى موقف القيامة شِرْكا(٦).

فلا يخاف ظلماً : فلا يخاف من الله أن يظلمه فيحمل عليه سيّئات غيره فيعاقبه عليها(٧).

ولا هضما : ولا يخاف أن يهضمه حسناته فينقصه ثوابها(٨).

وكذلك : معطوف على كذلك نقصّ. أي مثل إنزال ما ذكر(٩).

وصرّفنا : وكرّرنا(١٠).

ذكراً : تذكرة فيعتبرون ويتّعظون بفعلنا بالأمم الّتى كذّبت الرّسل قبلها وينزجرون عمّا هم عليه مقيمون من الكفر بالله(١١).

فتعالى : فارتفع(١٢).

---

(١) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥٧. و ١٥٨.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ١٦٦ والجلالين ومفردات الرّاغب الأصفهانى : «عنا» ٣٥٠.

(٣) البحر المحيط ٢/ ٢٧٧.

(٤) الجلالين فى تفسير آية الكرسى وانظر تأملات فى سورة البقرة للمؤلف ٣/ ١٥٢٦

(٥) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥٨.

(٦) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥٨.

(٧) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥٨.

(٨) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥٨.

(٩) الجلالين.

(١٠) الجلالين.

(١١) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥٩.

(١٢) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٠.

الملك : الّذى قهر سلطانه كلّ ملكٍ وجبّار(١).

الحقّ : عمّا يصفه به المشركون من خلقه(٢).

كما قصصنا عليك يا محمّد حديث موسى وفرعون نقصّ عليك فى هذا الكتاب العزيز الأخبار المهمّة المفيدة المتعلّقة بالسّابقين من النّبيّين وأممهم. وقد أعطيناك من عندنا ذكراً يتذكّر به من تذكّر وهو القرآن الكريم ويتّعظ به أولو العقول الرّاجحة والبصائر النّيّرة والقلوب السّليمة. من أعرض عن هذا الكتاب العزيز فإنّه يحمل يوم القيامة إثماً عظيماً وحملاً ثقيلا. خالدين فى العذاب بسبب ذلك الذّنب العظيم، وساء ذلك الذّنب العظيم حملاً لهم يوم القيامة. وفى ذلك اليوم ينفخ إسرافيل عليه السّلام فى الصّور بمعنى البوق، ويحشر الله تعالى المجرمين ويسوق المشركين إلى الحساب فالجزاء زرق العيون بسبب شدّة الكرب والعطش. إنّهم لشدّة الأهوال يقول بعضهم لبعضٍ سراً ما لبثتم فى الحياة الدّنيا إلا عشراً من اللّيالى بأيّامها. إنّ الله سبحانه وتعالى أعلم بما يقول بعضهم لبعضٍ سراً حين يقول أرجحهم عقلاً وأكثرهم فهماً ما لبثتم فى الحياة الدّنيا إلاّ يوماً واحداً!

ويسألك يا محمّد قومك عن الجبال أتكون على حالها يوم القيامة فقل ينسفها ربّى نسفاً ويدمّرها تدميراً ويجعلها هباءً منثوراً، فيذر أماكنها من الأرض أرضاً مستويةً لا نبات فيها، ولا ترى فيها انخفاضاً ولا ارتفاعا. فى ذلك اليوم يتّبع النّاس الدّاعي لهم إلى موقف الحساب لا عوج لهم عنه ولا انحراف. وسكنت الأصوات للرّحمن الّذى وسعت رحمته كلّ شىءٍ وحيّ، فلا تسمع إلاّ صوت وطء الأقدام إلى المحشر. في ذلك اليوم لا تنفع الشّفاعة إلاّ من أذن له الرّحمن الرّحيم بالشّفاعة ورضي له قولاً. إنّ الله سبحانه وتعالى يعلم ما بين أيدى الخلائق وما يصادفونه أمامهم يوم القيامة، ويعلم ما خلفهم من شئون الدّنيا الّتى تركوها وراءهم، ولا يحيط الخلائق بشىءٍ من علمه عزّ وجلّ. وفى ذلك

---

(١) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٠.

(٢) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٠.

الموقف العصيب واليوم المشهود خضعت الوجوه لله تعالى الحيّ الّذى لا يموت، المبالغ فى القيام بتدبير الملكوت كلّه، وقد خاب وخسر من حمل إلى موقف القيامة شركاً.

أمّا الّذى يعمل الصّالحات وهو مؤمنٌ بالله تعالى فإنّه لا يخاف يوم القيامة ظلماً بإضافة سيّئاتٍ إليه لم يأتها، ولا يخاف هضماً بحذف حسناتٍ أتاها يرجو الثّواب عليها.

وكما قصصنا عليك يا محمّد من أنباء ما قد سبق من النّبيّين وأممهم وما سوف يلحق من عقاب الكافرين يوم القيامة وثواب المؤمنين أنزلنا هذا الذّكر قرآناً بلسانٍ عربيّ مبين، وكرّرنا فيه من صنوف الوعيد لعلّ النّاس يتّقون النّار الّتى وقودها النّاس والحجارة بالإيمان وعمل الصّالحات أو يحدث لهم هذا الكتاب موعظةً ترقّ لها أفئدتهم، وتخشع لها قلوبهم.

فتنزّه وتقدّس الله تعالى المعبود بحقّ، الملك الّذى بيده ملكوت كلّ شىء، الحقّ، عمّا يصفه به المشركون ويلحقه به الظّالمون مما لا يليق به عزّ وجلّ. ولا تعجل يا محمّد بتلاوة القرآن الكريم من قبل أن يفرغ جبريل من إيحائه إليك وإبلاغك إيّاه فقد تكفّلنا بجمع القرآن الكريم فى صدرك فلا تنساه وبتبيين معناه لك. وقل ربّ زدنى علماً بمعانى القرآن الكريم وبكلّ ما ينفعنى فى دنياي وآخرتى.

(٤)

« تسـلية النّبـيّ ﷺ وتبيـين عـداوة الشيطان الرّجيم للإنسـان »

الآيات (١١٥-١٢٧)

وَلَقَدْ عَهِدْنَآ
إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ
﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا
مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾
وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ
ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ
لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾
ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا
جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى
فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن
ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾
قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ
نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ
وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾

ولقد عهدنا إلى آدم : ولقد وصّينا آدم(١).

(١) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٠.

مـــن قبل : مـــن قبل هؤلاء الّذين أخبـر أنّـــه صرّف لهـم الوعـيد فى هـذا القرآن(١).

فنسى : فترك عهدى(٢) .

ولم نجد له عزماً : العزم والعزيمة عقد القلب على إمضاء الأمر(٣) والصّبر(٤) والحفظ(٥) والمعنى : ولم نجد لـه عزم قلبٍ على الوفاء بعـهده ولا على حـفظ ما عهد إليه(٦).

فتشقى : اقتصر على شقائه لأنّ الرّجل يسعى على زوجته(٧) .

ولا تضحى : ولا تظهر للشّمس فيؤذيك حرّها(٨).

فوسوس إليه الشّيطان : الوسوسة الخَطْرة الرّديئة. وأصله من الوَسواس وهو صوت الحَلْي والهمس الخفيّ(٩).

هل أدلّك على شـجـرة الخلد وملكٍ لا يبلى : هل أدلك علـى شجـرةٍ إن أكلت منها خلدت فلم تمت وملكت ملكاً لاً ينقضى فيبلى(١٠).

فبدت لهمـا سـوءاتهما : فانكشفت لهمـا عوراتهـما وكـانت مسـتورةً عن أعينهما(١١).

---

(١) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٠.

(٢) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٠.

(٣) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «عزم» ٣٣٤.

(٤) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦١.

(٥) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦١.

(٦) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦١.

(٧) الجـــلالين.

(٨) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٢.

(٩) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «وسوس» ٥٢٢.

(١٠) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٢.

(١١) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٢.

وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة : أقبلا يشدّان عليهما من ورق الجنّة[1] ويوصلان عليهما من ورق الجنّة[2] ويغطّيان عليهما بورق التّين[3].

ثمّ اجتباه ربه : ثمّ اصطفاه ربّه من بعد معصيته إيّاه[4].

فتاب عليه : قبل توبته[5].

وهدى : أي هداه إلى المداومة على التّوبة[6] .

قال اهبطا منها : من الجنّة[7].

بعضكم لبعضٍ عدوّ : يقول : أنتما عدوّ إبليس وذرّيّته، وإبليس عدوّكما وعدوّ ذرّيّتكما[8].

فمن اتّبع هداي فلا يضلّ ولا يشقى : عن ابن عبّاس : قال : تضمّن الله لمن قرأ القرآن واتّبع ما فيه ألاّ يضلّ فى الدّنيا ولا يشقى فى الآخرة[9].

ومن أعرض عن ذكرى : أي القرآن فلم يؤمن به[10].

---

(١) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٢.

(٢) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٢.

(٣) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٢.

(٤) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٢.

(٥) الجلالين.

(٦) الجلالين.

(٧) الجلالين.

(٨) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٣.

(٩) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٣.

(١٠) الجلالين.

فإنّ له معيشةً ضنكاً : ضيّقة شديدة[1] وذلك لهم فى البرزخ وهو عذاب القبر[2] أو فى الدّنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره بل صدره ضيّقٌ حرجٌ لضلاله وإن تنعَّمَ ظاهره ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء فإنّ قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو فى قلقٍ وحيرةٍ وشكّ فلا يزال فى ريبه يتردّد فهذا من ضنك المعيشة[3].

ونحشره يوم القيامة أعمى : أعمى عن الحجّة ورؤية الشّىء[4].

قال ربّ لِمَ حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً : قال ربّ لم حشرتنى أعمى عن حجّتى ورؤية الأشياء وقد كنت فى الدّنيا ذا بصرٍ بذلك كلّه[5].

كذلك أتتك آياتنا : يقول تعالى ذكره : فعلت ذلك بك فحشرتك أعمى كما أتتك آياتى وهي حججه وأدلّته وبيانه الّذى بيّنه فى كتابه[6].

فنسيتها : فتركتها وأعرضت عنهَا ولم تؤمن بها ولم تعمل[7].

وكذلك اليوم تنسى : وكذلك اليوم ننساك فنتركك فى النّار[8].

---

(١) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٣

(٢) انظر تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٤

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ١٦٨.

(٤) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٥

(٥) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٦

(٦) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٦

(٧) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٦

(٨) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٦

وكذلك نجزى من أسرف : السَّرَف تجاوز الحدّ فى كلّ فعلٍ يفعله الإنسان(١) يقول تعالى ذكره : وهكذا نجزى من أسرف فعصى ربّه(٢) وأشرك(٣).

بقصد تسلية المصطفى ﷺ يتمّ التّحوّل إلى أبينا آدم عليه السّلام الّذى نسي قديماً وصيّة الله تعالى له وهو فى الجنّة ألاّ يأكل من شجرةٍ بعينها، ولم يكن له عزم قلبٍ على الوفاء لله تعالى بعهده ولا على حفظ ما عهد إليه. وكأنّ من سمة جنس الإنسان النّسيان فلا عجب إذا اتّصف الأبناء بما اتّصف به أبوهم من قبل. والعجيب فى الأمر أنّ آدم عليه السّلام خرج بسبب النّسيان من الجنّة، وأنّ بنيه الّذين نسوا العهد الّذى أُخذَ عليهم وهم فى عالم الذّرّ وأكّده النّبيّون لم يدخلوا، بسَبب النسيان، الجنّة. ولَمّا كان بنو آدم لم ينقصهم الله تعالى شيئاً من نعوت أبيهم آدم عليه السّلام الّذى أسجد له الملائكة تنبيهاً على فضل العالِم ممثَّلاً فى آدم عليه السّلام على العابد ممثَّلاً فى الملائكة فإنّ السّياق يتحدّث فى هذه المسألة بقصد تنبيه بنى آدم على ما يجب عليهم من شكر لله تعالى على نعمه وآلائه. إنّ السّياق يخاطب المصطفى ﷺ ويقول له : واذكر يا محمّد فى القرآن الكريم لقومك إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم عليه السّلام سجود تكريم وتعظيم لا سجود عبادة فسجدوا إلاّ إبليس الّذى كان من الجنّ فإنّه أبى أن يسجد لأنّه وهو الّذى خلقه الله تعالى من نار، خيرٌ، حسب زعمه، من آدم عليه السّلام الّذى خلقه الله تعالى من طين. فقال الله تعالى يا آدم إنّ إبليس عدوٌّ لك ولزوجتك حوّاء فلا يخرجنّكما من الجنّة فتشقى بالكدّ وراء لقمة عيشك وعيش زوجتك ومن ستعول. إنّ لك فى الجنّة ألاّ تجوع فيها ولا تعرى. وقد قرن فى الآية الكريمة بين

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «سرف» ٢٣٠.

(٢) تفسير الطّبرى ١٦/١٦٦

(٣) الجلالين.

الجوع والعري لأنّ الجوع ذلّ الباطن والعري ذلّ الظّاهر(١) وأنّك لا تظمأ فى الجنّة ولا تظهر للشّمس فيؤذيك حرهّا. وقد قرن فى الآية الكريمة بين الظّمأ وهو حرّ الباطن، وبين الضّحى وهو حرّ الظّاهر(٢) وقد نبّه ابن القيّم إلى أنّ هذا الضّرب من الأسلوب القرآنيّ تتمّ فيه مراعاة مناسبة المعنى : لأنّ الجوع خلوّ الباطن عن الغذاء، والتّعرّى خلوّ الظّاهر عن الثّياب. والظمأ احتراق الباطن بالحرارة، والضّحى احتراق الظّاهر، فظهرت المناسبة من حيث المعنى فيهما(٣).

لقد وسوس الشّيطان الرّجيم إلى آدم عليه السّلام وهمس خفيةً فى أذنه قال: يا آدم، هل أدلّك على شجرة الخلد فلا تموت أبداً وعلى ملك لا يبلى ولا يَفْنى تبعاً لخلودك. لقد صدّق آدم عليه السّلام الشّيطان الرّجيم الكذوب وخضع لإغوائه فأكل هو وحوّاء عليهما السّلام من الشّجرة الّتى نهاهما الله تعالى عن مجرّد الاقتراب منها فبدت لهما عوراتهما الّتى يسوء كلّ نفسٍ سويّةٍ انكشافها وأخذا يلصقان عليهما من ورق الجنّة ما يستر عوراتهما وعصى آدم عليه السّلام ربّه جلّ وعلا فغَوَى بالأكل من الشّجرة. ثمّ اصطفاه ربّه جلّ وعلا فأرشده إلى التّوبة الّتى قبلها منه وهداه بأن وفّقه للاستمساك بها. قال عزّ وجلّ لآدم وحوّاء اهبطا بمن اشتملتما عليه من الذّرّيّة وانزلا من الجنّة جميعاً. بعض ذرّيّتكم لبعضٍ عدوّ. فإن يأتكم منّى هدى فمن اتّبع هداي الّذى أوحى به للمصطفين من النّبيّين فلا يضلّ فى الدّنيا ولا يشقى فى الآخرة. أمّا من أعرض عن القرآن الكريم آخر الكتب السّماويّة وأشرفها فإنّ له فى هذه الحياة الأولى معيشةً شاقّةً وحياةً صعبةً وإن كان الظّاهر لا يقول بذلك بسبب التّعاسة الدّاخليّة والعذاب النّفسى، وكذلك فى الحياة البرزخيّة بالقبر وذلك على غرار النّار الّتى يعرض عليها فرعون وآله غدواً وعشيّاً على نحو ما بيّنت الآية الكريمة السّادسة والأربعون من سورة غافر.

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ١٦٧.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ١٦٧.

(٣) الفوائد لابن القيّم ١٧٦ تصوير دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، عن الطبعة المصرية. بدون تاريخ.

أمّا فى يوم القيامة فإنّ الله سبحانه وتعالى يحشر من أعرض عن القرآن الكريم ويسوقه إلى النّار أعمى البصر والبصيرة. قال ياربّ لم حشرتنى أعمى البصر والبصيرة وقد كنت بصيراً فى الدّنيا. قال فعلت ذلك بك فحشرتك أعمى كما أتتك آياتنا البيّنات فتركتها، وكذلك اليوم ننساك فنتركك فى النّار. ومثل جزاء من أعرض عن القرآن الكريم يجزى عزّ وجلّ من أسرف على نفسه فأشرك وعصى ربّه جلّ وعلا ولم يؤمن بآيات ربّه عزّ وجلّ. ولعذاب الآخرة أشدّ وأقوى، أبقى وأدوم.

(٥)

«اعبـــدوا الله تعـــالى أيّـــها المؤمنـــون حتّى يحكـــم الله تعـــالى بينكـــم وبين القوم الكافرين المستهزئين»

الآيات (١٢٨-١٣٥)

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ
فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ
مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ
وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا
تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ
﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى
ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ
لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن
قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ
فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون : أفلم يبيّن لهم كثرة ما أهلكنا قبلهم من الأمم الّتى سلفت قبلهم(١).

لأولى النُّهَى : لأهل الحجى والعقول ومن ينهاه عقله وفهمه ودينه عن مواقعة ما يضرّه(٢) ومفرد النُّهى النُّهية(٣).

(١) تفسير الطّبرى ١٦/١٦٦.

(٢) تفسير الطّبرى ١٦/١٦٧.

(٣) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «نهى» ٥٠٧.

ولولا كلمةٌ سبقت من ربّك : لتأخير العذاب عنهم إلى الآخرة(١).

لكان لزاماً : للزمهم الهلاك عاجلاً. وهو مصدرٌ من قول القائل: لازم فلانٌ فلاناً يلازمه ملازمةً ولزاماً إذا لم يفارقه(٢).

وأجلٌ مسمّى : ووقتٌ مسمّىً عند ربّك سمّاه لهم فى أمّ الكتاب وخطّه فيه هم بالغوه ومستوفوه(٣) ومعنى الكلام : ولولا كلمةٌ سبقت من ربّك وأجلٌ مسمًّى لكان لزاماً فاصبر على ما يقولون(٤).

وسبّح : وصلّ(٥) .

بحمد ربّك : بثنائك على ربّك(٦).

قبل طلوع الشّمس : وذلك صلاة الصّبح(٧).

وقبل غروبها : وهي العصر(٨).

ومن آناء اللّيل وهي ساعات اللّيل واحدها إنْيٌ(٩) وإنىً. فمن قال إنْيٌ فهو مثل نِحْيٍ وأنحاء، ومَنْ قال إنىً فهو مثل مِعىً وأمعاء(١٠) ويعنى بقوله : ﴿ومِنْ

---

(١) الجلالين.

(٢) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٧.

(٣) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٧.

(٤) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٧.

(٥) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٨. والجلالين.

(٦) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٨.

(٧) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٨.

(٨) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٨.

(٩) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٨.

(١٠) لسان العرب «أنى».

آناء اللّيل فسبّح﴾ صلاة العشاء الآخرة لأنّها تُصلّى بعد مضيّ آناء من اللّيل(١) وحمله بعضهم على المغرب والعشاء(٢) معاً.

وأطراف النّار : عطفاً على قوله قبل طلوع الشّمس. لأنّ معنى ذلك فسبّح بحمد ربّك آخر اللّيل وأطراف النّهار(٣) أي صلّ الظّهر لأنّ وقتها يدخل بزوال الشّمس فهو طرف النّصف الأوّل وطرف النّصف الثّانى(٤).

لعلّك ترضى : كي ترضى(٥).

متّعنا به أزواجاً منهم : أصنافاً منهم(٦) قال مجاهد : يعنى الأغنياء(٧).

زهرة الحياة الدّنيا : زهرة عاجل الدّنيا ونضرتها(٨).

لنفتنهم فيه : لنختبرهم فيما متّعناهم به من ذلك ونبتليهم فإنّ ذلك فانٍ زائلٌ وغرور وخدع تضمحلّ(٩).

ورزق ربّك : الّذى وعدك أن يرزقكه فى الآخرة حتّى ترضى وهو ثوابه(١٠).

---

(١) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٨.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ١٧٠ والجلالين.

(٣) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٨.

(٤) الجلالين.

(٥) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٨.

(٦) الجلالين.

(٧) تفسير ابن كثير ٣/ ١٧٠.

(٨) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٩.

(٩) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٩.

(١٠) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٦٩.

واصطبر عليها : واصبر عليها[1] وتحمّل الصّبر بجَهْدك[2].

والعاقبة للتّقوى : والعاقبة الصّالحة من عمل كلّ عامل لأهل التّقوى والخشية من الله دون من لا يخاف له عقاباً ولا يرجو له ثواباً[3].

لولا يأتينا بآية من ربّه : هلاّ يأتينا محمّد بآية من ربّه[4].

بيّنة ما فى الصّحف الأولى : بيان ما في الكتب التّى قبل هذا الكتاب من أنباء الأمم التى أهلكناهم لمّا سألوا الآيات فكفروا بها لمّا أتتهم[5].

من قبله : من قبل أن نرسل إليهم هذا الرّسول الكريم وننزل عليهم هذا الكتاب العظيم[6].

من قبل أن نذلّ ونخزى : من قبل أن نذلّ بتعذيبك إيّانا ونخزى به[7].

قل كلٌّ متربّص : منتظرٌ ما يئول إليه الأمر[8].

يستمرّ السّياق فى تسلية فؤاد المصطفى ﷺ ويبدأ بسؤال مشركى مكّة فى إنكار : أفلم يتبيّن لهؤلاء المشركين الأمم الكثيرة السّابقة الّتى أهلكها الله تعالى بسبب تكذيبها رسلها والتى يمشى مشركو مكّة فى مساكنهم حينما يسافرون إلى الشّام فى رحلة الصّيف مثلاً فيمرّون على ديار صالح ولوطٍ عليهما السّلام. إنّ فى ذلك لآياتٍ بيّنات لأصحاب العقول الرّاجحة الّتى تنهى عن ارتكاب كلّ مرغوبٍ عنه قبيح. ولولا كلمةٌ من الله تعالى بتأجيل العذاب إلى يوم القيامة وأجلٌ مسمًّى ووقتٌ محدّد قدّره الله تعالى فى أمّ الكتاب يستوفونه وتنتهى عنده آجالهم للزمهم العذاب عاجلاً وحلّ بهم الهلاك على الفور. فاصبر يا محمّد على ما يقولون فى

---

(١) الجلالين.

(٢) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «صبر» ٢٧٤.

(٣) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٧٠.

(٤) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٧٠..

(٥) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٧٠.

(٦) تفسير ابن كثير ٣/ ١٧٢

(٧) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٧٠.

(٨) الجلالين وتفسير الطّبرى ١٦/ ١٧١. وتفسير ابن كثير ٣/ ١٧٢

حقّك وحقّ دين الإسلام الّذى بعثك الله تعالى به وسبّح بحمد ربّك عزّ وجلّ ونزّهه حامداً له فى صلاتك قبل طلوع الشّمس وهي صلاة الفجر، وقبل غروب الشّمس وهي صلاة العصر، وفى صلاتك آناء اللّيل، وهي صلاة المغرب وصلاة العشاء، وفى صلاتك أطراف النّهار، وهى صلاة الظّهر الّتى تدخل بزوال الشّمس وهو طرف النّصف الأوّل من النّهار وطرف النّصف الثّانى. إنّ الصّلاة والتّسبيح والتّحميد وما إلى ذلك، كلّه مطلوبٌ منك كي ترضى بالثّواب الّذى سوف يعطيكه الله تعالى ووعدك به فى قوله جلّ شأنه(١) : ﴿ولسوف يعطيك ربّك فترضى﴾.

ولمّا كانت الدّنيا رخيصةً عند الله تعالى ولهذا عجّل الله تعالى للكافرين طيّباتهم فى حياتهم الدّنيا، كما جاء فى الحديث الصّحيح(٢) فإنّ السّياق ينهى المصطفى ﷺ، والمراد أمته عليه الصّلاة والسّلام، من أن يمدّ عينيه إلى ما متّع الله تعالى به فئاتٍ من أولئك الكافرين الصّادّين عن سبيل الله تعالى. إنّ ذلك المتاع هو عاجل نضرة الحياة الدّنيا وزهرتها الذّابلة. وقد عجّل الله تعالى لأولئك المعرضين عن الحقّ ذلك النّعيم ابتلاءً لهم كي تزداد قلوبهم المنصرفة عن الحقّ انصرافاً. وإنّ ثواب ربّك الّذى وعدك الله تعالى إيّاه فى الآخرة ووعد أمّتك خيرٌ من متاع الدّنيا وأبقى.

ولمّا كان كلّ مسلمٍ راعياً وكان كلّ راعٍ مسئولاً عن رعيّته فإنّ ربّ العزّة والجلال يأمر فى شخص المصطفى ﷺ كلّ مسلمٍ بأن يأمر أهله بالصّلاة الّتى هي عماد الدّين والّتى تنهى عن الفحشاء والمنكر وبأن يصبر هو عليها ويبذل منتهى جهده فى المحافظة عليها. إنّ الصّلاة باب كلّ نعمةٍ وفضل، بما فى ذلك الرّزق، فحافظ أيّها المسلم على الصّلاة، ولا تفكّر فى الرّزق، فقد تكفّل الله تعالى برزق كلّ دابّة، وأنت لا ترزق أحداً ولست مكلّفاً برزق أحد : ﴿نحن نرزقك﴾ ﴿إنّ الله هو الرّزّاق ذو القوّة المتين﴾(٣) فعليك أن تخلص العبادة لله تعالى وأن تريد بكلّ

(١) سورة الضّحى ٥.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ١٧٠.

(٣) سورة الذّاريات ٥٨.

أعمالك الصّالحة وجه ربّك الأعلى فإنّ ذلك كلّه عبادة. إنّ العاقبة الصّالحة لأهل التّقوى فى الأولى فى هيئة الحياة الطيّبة، وفى الآخرة فى جنّات النّعيم.

ولا يكاد العجب ينتهى من المشركين الّذين يعرضون عن أبلغ الآيات وأشرف الكتب السّماويّة ويطلبون آياتٍ ماديّة كناقة صالح عليه السّلام وكأنّ القوم ليسوا على علمٍ بالهلاك الّذى حلّ بأولئك المصرّين على التّكذيب بعد تحقّق الآيات الّتى اقترحوا، فقد سبق فى علم الله تعالى أنّ كفّار مكة سوف يصرّون على التّكذيب أسوةً بالسّابقين، وكأنّ القوم لم يأتهم بيان ما فى الكتب السّماوية السّابقة، وكأنّهم لا يعلمون أنّ هذا الكتاب العزيز هو المصدّق للكتب السّماوية السّابقة، المهيمن عليها، المشتمل على كلّ خيرٍ جاء فيها، إضافةً إلى ما خصّ الله تعالى به هذا الكتاب العزيز من سماتٍ ومميّزات.

ويقرّر السّياق أنّ ربّ العزّة والجلال لو أنّه أهلك أولئك الأقوام لسابق علمه بتكذيبهم مستقبلاً، فليس للزّمن عَلاقةٌ بعلم الله تعالى، وقبل أن يبعث خاتم النّبيّين وأشرف المرسلين، وينزل عليه آخر الكتب السّماويّة وأشرفها لقالوا يا ربّنا هلاّ أرسلت إلينا رسولاً فنتّبع آياتك الّتى توحيها إليه من قبل أن نذوق ذلّ العذاب وخزي الجحيم بإهلاكك لنا.

وليس بخافٍ أنّ هؤلاء المشركين لا تنقصهم الحجّة والدّليل على صدق الرّسول الكريم ﷺ وعلى أنّ الدّين عند الله تعالى الإسلام وإنّما ينقصهم الصّدق مع النّفس وصدق النّطق بما استيقنته أنفسهم بسبب كونهم متعنّتين مصرّين على التّكذيب والاستهزاء.

وتجاه هؤلاء المتلوّنين الّذين لا يستقرّون على رأي وغير الصّادقين مع نفوسهم يأمر ربّ العزّة والجلال حبيبه المصطفى ﷺ بأن يقول للقوم : كلٌّ منّا منتظرٌ ما يئول إليه الأمر بيننا وبينكم، فانتظروا إنّا منتظرون معكم. إنّكم سوف تعلمون من أصحاب الصّراط السّويّ والطّريق المستقيم، ومن اهتدى إلى النّور المبين والنّعيم المقيم فى جنّات النّعيم. إنّ هؤلاء هم أمّة محمّد بن عبد الله ﷺ خاتم النّبيّين، وأشرف المرسلين، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين.

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله ربّ العالمين.

مكّة المكرّمة
صبيحة يوم الاثنين
٧ / ١٢ / ١٤١٧هـ
الموافق ١٤/ ٤ /١٩٩٧م

كتبه الفقير إلى عفو ربّه
د. حسن محمّد باجودة
أستاذ الدّراسات القرآنيّة البيانيّة
وعميد كلّيّة اللّغة العربيّة
جامعة أمّ القرى بمكّة المكرّمة

فهرست الموضوعات

الموضـــــــــوع	رقم الآيات	رقم الصفحة
المقدّمـــة		٧
أوّلاً :تمام سـورة الكهف		٩-٦٠
بين يدي التّفسير		١٥
التّفســـير		٢٣-٦٠
١ ـ بقية قصّة موسى عليه السّلام مع الخَضِر	٧٥-٨٢	٢٥
٢ ـ ذو القرنين، مثـال الحاكم المسلم لله ربّ العالمين	٨٣-٩٨	٣٥
٣ ـ بعض أهوال يوم القيامة وعذاب الكافرين وثواب المؤمنين	٩٩-١١٠	٤٩
ثانيـاً : سـوْرة مـريم		٦١-١٦٠
بين يدي التّفسير		٧١
التّفســـير		٨٣-١٦٠
١ ـ يهب الله تـعـالى زكـريّا علـيـه السّـلام يحـيى عليـه السّـلام من زوجه العاقر	١-١٥	٨٥
٢ ـ مريم البتول وابنها عيسى عليه السّلام	١٦-٤٠	٩٧
٣ ـ إبراهيم عليه السّلام	٤١-٥٠	١١٥
٤ ـ موسى وهارون عليهما السّلام	٥١-٥٣	١٢٣
٥ ـ إسماعيل عليه إلسّلام	٥٤-٥٥	١٢٩
٦ ـ إدريس عليه السّلام وبقيّة المنعم عليهم	٥٦-٥٨	١٣٣
٧ ـ كلّ النّاس يعبرون الصّراط الممدود على جـهنّـم فيدخل المنعم عليهم الجنّة ويهوى المغضوب عليهم فى النّار	٥٩-٧٢	١٣٧
٨ ـ مظاهر من ضلال الكافرين وزيادتهم عـمىً وعذابهم، وزيادة المتّقين هدىً وثوابهم	٧٣-٩٨	١٤٧

فهرست الموضوعات

الموضـــــوع	رقم الآيات	رقم الصفحة
ثالثاً : سـورة طـــه		١٦١-٢٨٧
بين يدي التّفسير		١٧٣
التّفســـير		١٩١-٢٨٧
١ ـ الله تعالى الخلاّق السّميـع العليم أنزل القرآن الكريم تذكرةً للعالمين	١-٨	١٩٣
٢ ـ موسى عليه السّلام وفرعون الطّاغية	٩-٩٨	٢٠١
٣ ـ العـذاب الشّديد يوم القـيامـة للمعـرضين عن القرآن الكريم والـثّواب الأكيـد للمؤمنين	٩٩-١١٤	٢٦١
٤ ـ تسلية النّـبيّ ﷺ وتبيين عداوة الشّيطان الرّجيم للإنسان	١١٥-١٢٧	٢٦٩
٥ ـ اعبدوا الله تعالى أيّها المؤمنون حتّى يحكم الله تعالى بينكم وبين القوم الكافرين المستهزئين	١٢٨-١٣٥	٢٧٩